الإستشراق والإستشراق الإنجليزي أنموذجا (*)

الباحثة/ عائشة رضا حسين البيرق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الشارقة

ملخص البحث:

يتناول البحث الإطار المعرفى للاستشراق، وتوضيح مفهوم الاستشراق من جميع الجهات، إلى جانب تعريف من هو المستشرق وبداية ظهور المستشرقين الغربيين الذين يدرسون تاريخ الشرق، كما عرض البحث تصنيفا للمستشرقين سواء المتعصب منهم الذى يسئ إلى الشرق أو المنصف العادل والموضوعى لما يتناوله من أحداث.

وكذلك ألقى البحث الضوء على أهداف المستشرقين وأساليبهم ووسائلهم المختلفة، وعرض الاستشراق الإنجليزى كنموذج للاستشراق الغربى، لأنه أول وأوثق ما عرفته أوروبا من استشراق، منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى اتصالا ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا، وقد اتبع الاستشراق الإنجليزى وسائل مختلفة حيث درس اللغات الشرقية في ٥٦ جامعة ومعهدا على رأسهم جامعة أكسفورد، وسلط الضوء على ثلاثة من أبرز المستشرقين الإنجليز مع ذكر نبذة توضيحية لأعمالهم.

Orientalism and the English Orientalism as a model

Abstract

The research deals with the cognitive framework of Orientalism, and the clarification of the concept of Orientalism from all sides, along with defining who the Orientalist is and the beginning of the emergence of Western orientalists who study the history of the East. The research also presented a classification of orientalists, whether fanatic among them who offends the East or fair and objective to the events it deals with.

(*)مجلة "المؤرخ المصرى عدد (٥٨) يناير ٢٠٢١.

The research also shed light on the aims of orientalists and their different methods and means, and presented English Orientalism as a model for Western Orientalism, because it is the first and most reliable of what Europe has known of Orientalism, since Britain's contact with the Middle and Far East, culturally, militarily, economically, and colonialist, and English Orientalism has followed various methods where He studied oriental languages in 56 universities and institutes, headed by the University of Oxford, and highlighted three of the most prominent English orientalists with an illustrative profile of their works.

مقدمة:

الاستشراق والمستشرقين... الناظر لحركة الاستشراق لا يستطيع أن يحدد وأن يعدد أهدافها وملامحها بعجالة: فالاستشراق الذي نعني به " الدارسة الغربية للشرق" هذا الشرق الذي كان مهدا للكثير من الحضارات مثل حضارة (سومر، مصر، فينيقية، قرطاجة، شمال أفريقيا، سوريا) وكان أيضا للعرب قبل الإسلام حضارات متأصلة نذكر منها على سبيل المثال حضارة (اليمن، البتراء، تدمر، بصرى، حيرة، مكة) وهنا يبرز لنا أهمية الموقع الجغرافي للدول العربية والإسلامية حيث أنها القلب النابض للعالم، قلب البشرية والحضارة قلب مهد الأديان والرسل والديانات منها ارتوى العالم بالإنسانية والدين والقيم. ومنها نبضت أول حركات بناء الحضارة وبناء الإنسان، فأتى الإسلام وكان هو نقطة التحول الجغرافي لكثير من دول العالم والمنطقة في ذلك الوقت، وهنا يبرز لنا الشرق والغرب... الشرق موطن الديانات وموطن خاتم الرسل موطن دين الإسلام دين الإنسانية والحضارة والفكر والعلم، الدين الذي أقصى الإمبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية... وأوجد حضارة جديدة تحتكم إلى قوانين ربانية... وأتت فتوحات الإسلام فساد الإسلام أكبر مساحة جغرافية في قارة آسيا وأوروبا وأفريقيا. فظهرت هنا أول حركات الاستشراق وبداياته فأصبحت أنظار الغرب للشرق متوجهة.. لماذا؟ لأنهم أرادوا أن يبنوا نهضة ولكن حمل

مع الأسف هذا النظر عداء للإسلام والمسلمين، وأصبح مظهرا للصراع الأيدلوجي والديني بين العالمين المسيحي والشرق الإسلامي وتتابع هذا العداء وتتابع المستشرقون وتفننوا بوسائلهم وأساليبهم للسيطرة على الشرق لنهب كل شيء مادي ومعنوي. وعمل الغرب في الفترة ما بين النهضة الأوروبية والقرن الثامن عشر على دراسة الشرق الإسلامي والاستفادة العلمية والأيدلوجية من جميع العلوم ومضارب الحضارة والأخذ بجميع المكونات الحضارية للعرب والمسلمين كافة فكانت بعض تياراتهم يسودها الموضوعية والعقلانية. لكن مع بداية القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالي تطور الاستشراق، وأخذ مناحي كثيرة والتي سيقوم بحثنا بتسليط الضوء عليها وتوضيح كيف ظهر المستشرقون؟ وما هي أساليبهم؟

والبحث في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول يتناول الإطار المعرفي للاستشراق من حيث المعنى والمفهوم، وأصناف المستشرقين، وأهداف الاستشراق، وأساليب ووسائل الاستشراق. ويتناول المبحث الثاني الإطار التاريخي للاستشراق بدءا من النشأة إلى المراحل التاريخية الثلاث الذي يمر بها الاستشراق ووصولا إلى الوقت الحالي. أما المبحث الثالث فقد ركز على الاستشراق البريطاني مع ذكر أسماء لثلاثة من المستشرقين البريطانيين هذا بالإضافة إلى الخاتمة التي سعينا فيها إلى إبراز النتائج والتوصيات والمقترحات.

أسأل الله التوفيق على هذا الجهد وأن يكون إضاءة جادة ومخلصة لكل الباحثين والمهتمين بعلم الاستشراق. والحمد لله على نعمه، وهو ولي التوفيق.

مشكلة البحث:

بزغ فجر الحضارة الإنسانية من الشرق الأدنى منذ ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد، هذه الحضارة الإنسانية كان القلب منها هو حوض البحر الأبيض المتوسط والمنطقة العربية الإسلامية. وزاد هذه المنطقة حضارةً (الإسلام) فبه ازدهر الشرق وبلغ أقصى مدى من الحضارة والعلم والفكر، فما كان لهذا البريق

إلا مقتنصوه وهم المستشرقون الذين تفننوا في سياساتهم اتجاه العرب والمسلمين واهل الشرق عموما، في الماضي والحاضر. وعليه عمدنا إلى دراسة الاستشراق والمستشرقين وامعان النظر على الاستشراق من جميع الجوانب لذا فإشكالية البحث انحصرت في الإجابة على الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ماذا نعني بالاستشراق والمستشرقين؟

السؤال الثاني: كيف نشأ الاستشراق؟ وما هي تقسيماته التاريخية؟

السؤال الثالث: ماذا نعني بالاستشراق الإنجليزي؟ وما هي أساليبه؟ وأبرز رواده؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من حيث أنه يلقي الضوء على الاستشراق فكر ومعنى وكيف أنه في مراحله الأولى كان ذو طابع علمي، ولكنه في مراحله الأخيرة أصبح مرسوما بغاياتٍ أخرى. جعلت من الشرق مركزاً للتشكيك في مصداقية الغرب. وظهرت كثير من الكتابات والدراسات التي بدأت تؤطر إلى الاستشراق والمستشرقين وتأخذهم بالدراسة والتحليل والغرض من أعمالهم وأهدافهم ومساعيهم. لدرجة أن اعتبر الاستشراق نوعا من الدراسات لما بعد الاستعمار.

لذا حاولت الباحثة:

١. تقديم الاطار المعرفي للاستشراق وربطه بالاطار التاريخي.
٢. إعطاء أمثلة عن الاستشراق الإنجليزي بوسائله ورواده.
٣. معاينة أساليب الاستشراق والكشف عن المرام التي يسعى إليها.
٤. اعطاء القارئ والباحث فكرا شاملا عن الاستشراق وربطه بمثال حيوي من الاستشراق الانجليزي.

أهداف البحث

سعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. دراسة الاستشراق بالمعنى والمفهوم من جميع الاتجاهات.
٢. التعرف على أهداف الاستشراق وأساليبه ووسائله المختلفة.
٣. التعرف على تاريخ الاستشراق وتقسيماته عبر التاريخ وصولا إلى وقتنا الحالي
٤. التعرض إلى الاستشراق الإنجليزي كمثال مع ابراز وسائله وتسليط الضوء على أبرز ثلاثة من مستشرقيه، مع ذكر نبذة توضيحية لأعمالهم.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث بصفة أساسية على المنهج الاستقرائي لكونه الأنسب لطبيعة الموضوع الذي اخترت البحث فيه، من خلال تتبع فكر الاستشراق بدءا بالجزيئيات لنصل إلى الكليات، وهي الاطار المعرفي للاستشراق أولا حيث حاولت فيه أن أقدم الاستشراق كمفهوم، وليأتي الفصل الثاني بتقديم الاستشراق عبر التاريخ بتوسع أكبر لنصل إلى الكليات.

الدراسات السابقة:

الاستشراق تناوله بعض من الكتاب والباحثين ومن هذه الدراسات:

١. رسالة ماجستير من جامعة محمد بو ضياف المسيلة – الجزائر – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – فرع الفلسفة بعنوان (مفهوم الاستشراق في فكر ادوارد سعيد) ومنها توصلت الرسالة إلى أن ادوارد سعيد هو ملك الاستشراق حيث يعتبر مرجعية علمية في الاستناد والمعرفة حول مفاهيم الاستشراق وتحليلاتها.
٢. رسالة ماجستير– للأستاذ عبدالإله بلقيز– بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان (العرب والحداثة– نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الأوروبية) وفيها يجيب الباحث حول التساؤلات التالية:

- كيف تفاعل النهضويون العرب – مسلموهم ومسيحيوهم – مع الاستشراق؟
- كيف تأثروا به إيجابا وسلبا ؟
- هل كان الاستشراق شرا محضا، أم خيرا محضاً، أم مزيجا بين الاثنين؟

المبحث الأول: الإطار المعرفي للاستشراق

١-١ الاستشراق المعنى... والمفهوم :

أولاً: تعريف الاستشراق:

لكل لفظ له دلالته من ذاته أو من السياق الموجود فيه فلفظ استشراق / استشرق هي على وزن استفعال / استفعل مؤلفه من مقطعين الأول وهو " است " والثانية "شرق"، ولفظ است " لها دلالاتها في اللغة العربية، وهي دائما تدل على ابراز أو إظهار ما كان مخفيا أو ما حقه الظهور سواء علم أو لم يعلم، أو طلب أمر معين ويفسر دلالاتها ما تلحق به من لفظ وعليه فكلمة استشرق فالفظ " است " تعني إظهار أو إبراز ما كان مخفيا سواء علم أو لم يعلم، فحين لحقت به كلمة "شرق " فأصبحت تعني إظهار وإبراز ما كان موجودا في بلاد الشرق من علوم وأفكار، وما جادت به حضارات الشرق بصفة عامة، أو طلب ما فيه من أفكار وعلوم ومعارف.

أما إذا نظرنا لكلمة استشراق باللغة الأجنبية وهي Orientalism، فنجد في اللغة اللاتينية أن كلمة "Orient" تعني يتعلم بحث عن أمر ما، وفي الألمانية Sich Orientiern تعني جمع المعلومات أو معارف من مصدر ما، أما باللغة الفرنسية Orienter تعني التوجيه والإرشاد وبالإنجليزية "Orientation" أو "orientate" لا تخرج عن مفهومها باللغة الفرنسية في أنها تعني التوجيه والاهتمام بجوانب معينة، وفي مجمل ما نجد من معاني الكلمة في هذه اللغات أنها تعني جمع المعلومات ببحث أو توجيه وإرشاد، وهو ما يعكس المفهوم للاستشراق عند الغربيين بأنه جمع معلومات عن حضارات الشرق وما صاحبها من علوم ومعارف وأديان بالبحث والاهتمام

الاستشراق من جهة شروق لشمس والسين تفيد الطلب، فيقال خدم واستخدام أي طلب الخدمة ويقال عمل واستعمل أي طلب العمل أما استشرق أي طلب علوم الشرق – أي حضارات الشرق : الإسلامية، الهندية، اليونانية،...، وأشرنا سابقا أن " است " الموجودة في الاستشراق أنها تعني إبراز أو إظهار أو طلب أمر ما علم أو لم يعلم بمكانه، أو بهيئته[١].

وجاء في المعجم الوسيط شرقت الشمس شرقا، شروقا أي طلعت[٢].

وعلى ما تقدم فالاستشراق نعني به:

دراسة علوم الشرق وأحواله ومعتقداته، وديانته وتركيبته البشرية والعمرانية وحتى الطبيعية ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمم ومجتمعاتها وعاداتها، وعلومها وأفكارها، وتوظيف هذه الدراسات عند الحاجة، كزرع النعرات والحروب في البلدان بمعرفة تركيباتها الاجتماعية واختلافاتها، أو توظيفها في المجال التجاري والاقتصادي بتصدير ما يتناسب مع المجتمعات أو النيل من المعتقدات الدينية بالتشكيك فيها، أو معرفة نقاط القوة والضعف في هذه المجتمعات،أو يستفاد مما حفلت من علوم وأفكار[٣].

كما أطلق على الغربيين الذين يقومون بالدراسة الاستشراقية أنهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزء من حياتهم في دراسة الشرق وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية، والاجتماعية للشرق[٤].

ثانياً: تعريف المستشرق:

وعليه فتعريف المستشرق تعريفا شاملا فيه صعوبة بالغة ومع ذلك فإنه يمكن القول : أنه عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، فلا بد أن تتوافر فيه" المستشرق" الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق، حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي، ولابد أن بنتمي هذا العالم إلى الغرب، ولو كان هذا العالم يابانيا، اندونيسيا أو هنديا.

تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخا، أو

اقتصادا، فلسفة، أو أثارا ترتبط بالشرق، وليس من الضروري أن يرحل هذا المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه، أو يتطبع بطباعه أو حضارته فقد يقوم بدراسته في جامعاتهم الغربية في وطنه، وإن كان رحيله إلى الشرق أكثر واقعية، وليس من الضروري أن يعتنق الإسلام أو يتحدث لغاته، غير أن الإلمام بها يساعده في أبحاثه ودراساته، فالمستشرق :" هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه"(٥).

١-٢ أصناف المستشرقين:

عندما نريد تصنيف المستشرقين، فإننا نجد كماً هائلاً من البحوث تحشرهم جميعا في خانة المغضوب عليهم، بما معناه أن كلهم يأخذون من حضارات الشرق الأفكار والعلوم، ويكيلون الكيل للإسلام والمسلمين مشككين، وطاعنين.....، ومن الباحثين من يجعلهم قسمين، أو صنفين: الأول كما قلنا سابقا مشك متعصب...، والثاني منصف ومقر بشكل موضوعي، وإنني تمعنت في المستشرقين فوجدتهم على ثلاث أصناف، وهي :

أولاً: المحايد الموضوعي العلمي المقر: وهو يتعامل بشكل محايد أي غير متعصب، يتبع نهجا علميا موضوعيا وفي الأخير يقر بالأفضلية لحضارات الشرق ونورها الساطع ويقر بالفضل وسماحة الإسلام وفضل الشرق على الغرب وما زخر من علوم، ويرد ما اكتشف من معارف وأفكار.....، إن وجدها في حضارات الشرق إلى أهلها ويعزو إليها، بل إن منهم من دخل في الإسلام وحسن إسلامه، هنا ليس العبرة ببدايات المستشرق، فقد يبدأ متعصبا وينتهي مقرا ومحايدا وبشكل موضوعي.

ومن هذا الصنف نذكر كارل فلهلم سترستين Karl Vilhlm Zettersteen (١٢٨٣هـ – ١٣٧٢ هـ – ١٨٦٦ م – ١٩٥٣ م)، وهو مستشرق سويدي.

ثانيا : الآخذ غير المقر: فهم يأخذون من أفكار وعلوم الحضارات الشرقية ما ينفعهم عاجلا أم آجلا، في كل العلوم ولكل الأهداف، بشكل علمي

لكنهم بأخذهم لهذه المعلومات لا يقرون بأنهم أخذوا من الحضارات الشرقية أو لا يردون الفضل إليها، فهم يشبهون كمن يحتاج إلى أمر يفتش عنه، فيجده فيأخذه وكفى، لا يستأذن صاحبه ولا يقول بأنه أخذه من فلان.....، وإن كان لا بد من إيراد أمثلة عنا فالأسماء كثيرة، ومنها الجامعات ومراكز البحث المتنوعة، وخير مثال تشومسكي وكيف أخذ نظرية العامل من النحو العربي وصرفها إلى نفسه، ووظفها في اللسانيات، ولم يقر بأنه أخذها من النحو العربي حتى أقر على يد الدكتور مازن الواعر رحمه الله بعد سنوات عدة، وهم هنا كثر فلا يعلم أمرهم لأنهم لا يقرون بذلك ولا يشيرون إلى مصادر معارفهم بأنها مجلوبة من حضارات الشرق، والأمر هنا لا بد من تمحيص وتدقيق ومقارنة لكشف ما أخذوا من حضارات الشرق وصرفوه لأنفسهم وحضاراتهم.

ثالثا : المشكك في العقيدة والدين بشكل غير علمي وغير موضوعي، ومتعصب، لضرب الديانات وزعزعة الإيمان.....، وهم لا يشككون في الدين فقط بل حتى في النسب والمجتمعات وأفكارها.... فهم طائفة من العلماء ركزوا هدفهم على النيل من الديانات الأخرى خاصة الإسلام، فدرسوا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكرسوا حياتهم للنيل من هذا وذاك وما كان لهم ولن يكون لهم، وكيدهم في نحرهم، هدفهم زعزعة الإيمان وصرف الناس عن دينهم، لأنهم يعلمون أن الإسلام وتعاليمه هو قوة المسلمين فلا حياة لهم من غير هذا الدين، فهؤلاء المستشرقين كالخفافيش الفرق بينهم أن الخفافيش من عادتها أن تظهر في الظلام، ولكن خفافيش الصنف الثالث من المستشرقين تظهر في النور، وتوهم نفسها أنها في الظلام كما تحاول أن توهم الآخرين بذلك، ولكن هيهات، وعبثا يحاولون.

ومن هذا الصنف نورد ذكر بعضهم من المستشرقين اليهودي برناد لويس عمل مدرسا في معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩٤٦ من بين ما قال : " أن الدين الإسلامي دين استعباد "[٦].

١-٣ أهداف الاستشراق:

من الصعب أن نجمع أهداف المستشرقين في هدف واحد، ونزعم أن هدفهم واحد في كل العصور، لذلك نرى أن الاستشراق على مر العصور سعى لتحقيق الأهداف التالية:

١- الهدف الديني: غرضه التشكيك في العقيدة وصرف الناس عن دينهم، وزرع التخاذل، وزعزعة الإيمان.

٢- الهدف الاستعماري: غرضه فهم التفكير والتطلع حتى يدار الغزو الاستعماري بشكل جيد فيتحكم في الأمور وبث التفرقة وزرع فتيل الحروب الداخلية.

٣- الهدف العلمي: وهو العمل على الإفادة من كل علوم وأفكار الحضارات الشرقية للاستفادة منها(٧).

٤- الهدف التجاري الاقتصادي: السيطرة على الثروات الطبيعية، وجعل البلدان سوقا لتصريف منتجاتهم بما يتماشى مع مصالحهم.

٥- الهدف الذي يخدم العولمة: فالعولمة تهدف إلى جعل الثقافات الأخرى تتبنى الثقافة الغربية، هذا طبعا إلى جانب أمور أخرى من جوانب العولمة، فالاستشراق يهدف لتقويض الثقافات الشرقية وفي نفس الوقت زرع مظاهر ثقافية لهم، من مأكل وملبس(٨). وغيره من المظاهر الثقافية الأخرى.

١-٤ أساليب ووسائل الاستشراق:

عمد المستشرقين لدراسة الشرق والتغلغل في عاداتهم باتباع أساليب ووسائل نذكر منها:

١- جمعيات ومجلات ومراكز ثقافية: لقد أقاموا مؤسسات خاصة للدراسات الشرقية وأنشأوا جمعيات آسيوية في كل من بتاوه- كلكتا – مومباي – مدراس.

كما أنشأوا في قلب إنجلترا هيئة لتشجيع الدراسات الشرقية – لندن –

١٨٢٣م – وفي فرنسا في مكتبة باريس سنة ١٧٨٧ م وهكذا تطور الأمر إلى إقامة مراكز ثقافية ثابتة في كل بلاد الشرق.

٢- مكتبات: لقد عني الغرب برفد مكتباتهم بالمخطوطات العربية والفارسية.

٣- مؤتمرات: تم عقد مؤتمرات عديدة في معظم عواصم أوربا كوسيلة لنشر أفكارهم وزيادة فرص التنسيق بينهم، يشترك فيها جمع غفير من المستشرقين من أوطان مختلفة وكلها عنيت بدراسة الشرق من كافة جوانبه.

٤- أقسام ومراكز وكراسي في الجامعات: فعني المستشرقون بالتدريس في الجامعات وأنشأوا معاهد عليا للغات السامية وفي مقدمتها اللغة العربية والدراسات الشرقية والإسلامية من أجل نشر أفكارهم وتحقيق أغراضهم.

كما أن هناك وسائل وأساليب أخرى نذكر منها أيضا:

- ❖ تأليف الكتب للترويج لأفكار وثقافة المستشرقين.
- ❖ المجلات وذلك من أجل تسليط الضوء على الشرق.
- ❖ الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي وذلك لأنهم يعتبرون التمثيل والاشتراك وسيلة لتحقيق أهدافهم.

المبحث الثانى: الاطار التاريخي للاستشراق

٢-١ نشأة الاستشراق:

تعددت الأقوال حول أول نشأة للاستشراق، فمنهم من يقول بأنها تعود للحروب الصليبية (ما بين ٤٩١ هـ – ٦٤٤ هـ/ ١٠٩٨م –١٢٥١ م)، ومنهم من يقول بأن فكرة الاستشراق إلى غزوة مؤتة بين المسلمين والروم (٨ هـ / ٦٢٩ م)، وأقوال أخرى، ففي الحروب تحدث احتكاكات ومحاولات فهم الآخر من حيث التفكير ومعرفة الأحوال عند الخصم، فالحروب جانب مهم في احتكاك الحضارات ببعضها، لكنه لا يكتنف مفهوم الاستشراق، قد يكون بادرة ولكنها غير مؤسسة علميا من حيث الدراسات والاهتمام العلمي وتأسيس المعاهد المتخصصة، وتأليف الكتب وتحقيقها وإعداد البحوث، وعقد المؤتمرات

كما هو الحال في مفهوم الاستشراق بالمعنى الحديث.

الاستشراق بدأ بشكل مؤسس بعد سنوات من دخول المسلمين إلى الأندلس إن لم يكن في أواخر قرون تواجد المسلمين بالأندلس فتواجد المسلمين بأرض الأندلس كان نحو سبعة قرون (٩٢هـ – ٨٩٧ هـ/٧١١ م – ١٤٩٢م) هذه الحقبة جعلت الاحتكاك بين مجتمعين وليس جيشين كما كان في الحروب الصليبية ومدة طويلة جدا ليست كمدة المعارك والحروب، وكانت هذه المدة في أمن وسلام وهو ما يحتاجه كل طرف لفهم الآخر وليس كما يكون الحال في الحروب، وبما أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، كما يقول ابن خلدون :" المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[٩]، فإن سكان الأندلس الأصليين سعوا لتقليد المسلمين واهتموا بما عندهم من دين، عقيدة، عادات وتقاليد، علوم، معارف وألبسة وأطعمة، فسعوا للنهل منها، فكانت بداية الاستشراق وأول ما عمدوا إليه هو تعلم اللغة العربية حتى تكون وسيلتهم لتحقيق أهدافهم السابقة[١٠].

لذلك يؤرخ الغرب المسيحي لبدء ظهور الاستشراق الرسمي، بصدور قرار " مجمع فيينا الكنسي "، عام ١٣١٢ م تأسيس عدد من الكراسي، الأستاذية في اللغة العربية في جامعات باريس وأكسفورد، وبولونيا وسلامنكا[١١].

٢-٢ وسائل اتصال الغرب بالشرق:

أولاً: الأسبان، حيث أنشأوا في طليطلة مكتبا للترجمة (١١٣٠- ١١٥٠م) بترجمة مؤلفات ابن رشد وابن سينا والفارابي والكندي وغيرهم، وأنشأوا مدارس مثل مدرسة صلمنكة، وميرمار وظلت بعض قرى بلنسية تتكلم العربية زمنا طويلا بعد خروج المسلمين من الأندلس.

ثانيا: النورمانديون، فبرغم تغلبهم على العرب في صقلية ، إلا أنهم لم يستطيعوا تجاهل ثقافتهم، فقد ظلت بلرمر عاصمة صقلية مصدرا للثقافة العربية قرونا طويلة.

ثالثا: الحروب الصليبية ومن نتائج هذه الحروب قلد الصليبيون العرب في تقلد

الدروع الخفيفة، وفي استخدام الموسيقا والرماح والسيوف وطرق صناعتها وغيرها الكثير.

رابعا: التجارة والعصور الوسطى، حيث قامت علاقات سليمة واتصالات دبلوماسية بين دول الإسلام الزاهرة ودول أوروبا.

خامسا: حملة نابليون بونابرت على مصر ١٧٩٧ ودخول إنجلترا بأسطولها تجاه أبي قير. وبذلك عرف الانجليز والفرنسيون مسالك الشرق ومفاتيح الشرق وكنوز الشرق.

سادساً: روما وحملاتها التبشيرية، سعت روما لتنصير العرب وأنشأت مدرسة للدعاية عام ١٦٢٧م ومنذ ذلك العهد بدأت المؤسسات التبشيرية تقييم في أرض الشرق ومؤسساتها، عن طريق هذه الرباطات الدينية اتصل الغرب بالشرق(١٢).

٢-٣ تاريخ الاستشراق وتقسيماته:

ونلاحظ من دراستنا لنشأة الاستشراق. وكيفية اتصال الغرب بالشرق، بأن الاستشراق مر بثلاث مراحل تاريخية نقسمها كالتالي:

المرحلة التاريخية الأولى:

ونطلق عليها دائرة "التراكم العدائي المغلوط" وهذه الفترة التاريخية تبدأ منذ بزوغ الإسلام مرورا بالفتوحات الكبرى وانتهاء بتضعضع قوة الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر، وكان المسلمون خلال هذه الفترة في سدة القيادة العالمية يسيطرون على مساحات واسعة، كما أنهم كانوا يهددون تخوم أوروبا، حيث فتحوا معظم بلاد اليونان والمجر وحاصروا فيينا ووصلوا إلى حدود فرنسا.ونتيجة لذلك تكون عند الأوروبيين الذين كانت تسيطر عليهم الكنيسة حينذاك ما يسمى " عقدة المسلمين "، وظهرت شروح كثيرة حول خطر المسلمين وديانتهم على المسيحية وأوروبا، بل حتى على العالم كله ، يقول المستشرق الروسي ألكسي جورافسكي (Alexy Zhuravsky) عن هذه الحالة:" لقد هيمن على الإدراك (الوعي)الأوروبي في القرون الوسطى الموقف السلبي

الصريح تجاه الإسلام، على الرغم من أن الأطروحات والمؤلفات المصنفة ضمن هذا المنحى قد انتشرت عندئذ بأشكال وصيغ مختلفة ومتمايزة جداً".

أخذ التفكير يتراكم تحت حطام العقدة إزاء المسلمين. لكن بسبب حالات الشقاق والخلاف التي شابت العلاقات الأوروبية – الأوروبية في تلك الحقبة التاريخية، لم يكن هناك خط سياسي متفق عليه لمواجهة المسلمين بين النخب الحاكمة في أوربا.

وبعد تدهور دور الدولة العثمانية وهبوط قوتها دب الأمل من جديد بالأطماع الأوروبية نحو الشرق، فأخذت دولها وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا في تهميش دور العثمانيين وتمزيق دولتهم من خلال سلسلة كبيرة من الاتفاقيات السرية والعلنية. وما إن شعر الأوربيون بترنح الرجل المريض (الدولة العثمانية) حتى لجأوا إلى التآمر الاستعماري المنظم، مما تمخض عنه بزوغ الدائرة التاريخية الثانية، التي انتقلت بالعلاقات الأوروبية – الشرقية إلى جولة جديدة تمثلت بالاستعمار[١٣].

وفي هذه المرحلة نجد المستشرقون الأوائل ركزوا على الهجوم على الإسلام وعقيدته والتشكيك بها لأنهم يعتبرون الإسلام يشكل تهديدا للعالم المسيحي الغربي، وأن مناهج الكثير من المستشرقين اتسمت في دراستها للحضارة العربية الإسلامية خلال الحروب الصليبية وبعدها بسمات فكرية عدائية تصور الاسلام بأنه صورة خرافية، وإن سيطرة السلمين وإقامة حضارتهم في أسبانيا هي الأخرى صورة اسطورية في محاولة لإقناع المسيحيين باستعادة اسبانيا فأخذت صورة الإسلام تتأثر لعدة قرون بتشبيهات أولئك المستشرقين.

ومن هنا يتضح لنا أن المستشرقين كونوا صورة لا موضوعية عن الإسلام وطبعوها في عقول المسيحيين في الغرب رغم تسامح الإسلام تجاههم[١٤].

المرحلة التاريخية الثانية:

بعدما انقضت المرحلة الأولى التي شكلت بدايات التفكير الغربي تجاه

المسلمين والعرب، والتي أدت إلى تأسيس رؤية مغلوطة مصحوبة بحافز وسلوك سياسيين بدأت مرحلة تاريخية ثانية يمكن أن نطلق عليها مرحلة "الإرث الاستعماري. وبدأت هذه المرحلة مع إرهاصات انهيار الدولة العثمانية وبروز دور محمد علي في مصر. وفي الحقيقة إن هذه المرحلة قصيرة جدا مقارنة بسابقتها، ففي هذه المرحلة لم يعد الغرب الأوروبي يفكر إلا من خلال هذه التركة التي مهدت للعصر الاستعماري، واوجدت المسوغات النفسية والحضارية والسياسية الأخلاقية. فأروبا لم تعد تتحمل أي حركة سياسية في الشرق الإسلامي يمكن أن تؤدي إلى دفع تاريخي نحو الأفضل، وإن التاريخ وفق الرؤية الغربية الاستعمارية يجب أن يكون عنصريا بحيث تبقى أوروبا والغرب في القمة وأن تبقى العناصر الغربية هي العناصر المؤثرة، بينما يبقى العرب والمسلمون على ما هم عليه من سلبية وتأثر وضعف. ويقول جورافسكي في كتابه" الإسلام والمسيحية " عن هذه الحالة إن الأوربيين لم ينظروا إلى الإسلام كعدو أثناء فترة التعصب والتحكم الديني في أوروبا فقط، بل حتى أثناء الفترة اللاحقة وبالتحديد إبان الاحتلال الاستعماري في القرنين التاسع عشر والعشرين، فلقد كان الدين شعارا أيديولوجيا للاستعمار لا يمكن أن ينكره أحد. ويمكن التدليل على ذلك باستعراض الموقف الكنسي إزاء الاستعمار، ونذكر بهذا الصدد وصف مطران باريس الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٤٠ بأنه انتصار للمسيحية على الإسلام.

فإن أي ظاهرة أو حركة توحي بنهضة الشرق كان على الغرب أن يقمعها سواء أكانت تلك الحركة قومية أم إسلامية، رأسمالية أو اشتراكية، علمانية أم دينية. وعليه لم تكن سياسة الغرب – ولن تكون – موجهة ضد أيدلوجيا بعينها، ولكن ضد ما تحمله هذه الأيديولوجيا من قدرة على النهوض بمجتمعها في الشرق، لهذا فإنها حاربت العلمانية عندما شعرت بقوتها في عهد عبد الناصر واليوم تحارب الإسلاميين بالسلاح القديم نفسه(١٥).

وهنا بدأت مرحلة جديدة من الاستشراق تظهر ملامحها في نهاية القرن

الثامن عشر، بعد أن أدرك الغربيون ضرورة تنظيم العملية الاستشراقية، فتم عقد المؤتمرات الاستشراقية منذ سنة ١٧٨٣م،والتي رسمت أهداف جديدة لتنظيم الأنشطة السياسية والعلمية والفكرية.

وتحول الكثير من المستشرقين إلى موظفين في وزارات الخارجية لبلدانهم، فأخذوا يعملون تحت غطاء المناهج العلمية لتحقيق أهدافهم التي رسمتها دولتهم الاستعمارية مسنودين من قبل رجال السياسة وقد تطور الأمر إلى انشاء مؤسسات ومعاهد في البلاد الغربية والبلاد العربية والإسلامية لخدمة الاستشراق والمستشرقين. والحقيقة أن هذه المؤسسات والمعاهد لخدمة الاستعمار والتبشير للمسيحية من جهة وتشويه الفكر الإسلامي والتشكيك فيه من جهة أخرى.

وظهر الاتجاه المنظم للعملية بإصدار العديد من الكتب والمجلات في البلدان الغربية والاستيلاء على الكنوز العربية الإسلامية المتمثلة في المخطوطات والوثائق المهمة ونقلها إلى البلدان الغربية في مكتباتها ومتاحفها عن طريق سرقتها أو شرائها وقد بلغ في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد جميعها تمثل تراث الأمة العربية الإسلامية وقد ازدادت حركة المستشرقين تنظيما بمرور الزمن وعقدت الكثير من المؤتمرات بدعم من الحكومات الغربية لدراسة أحوال البلدان الشرقية التي استعمروها ووضعوا الخطط لتنفيذ أهدافه في التآمر على الإسلام والمسلمين والهجوم عليه بشكل مباشر وقد انفقت الحكومات الغربية الكثير من الأموال على أبحاث المستشرقين ثم بدأت مرحلة جديدة تناول فيها المستشرقين في أبحاثهم الهجوم المتستر على الإسلام،وقد ظهر من المفكرين والباحثين إلى أنصافهم لأن منهجهم في البحث قد تغير، وأخذ يتجه إلى الموضوعية والتجرد وعليه يجب أن يتم النظر لهم نظرة جديدة تقوم على الثقة، وفي الواقع أن نهج كتاباتهم عن الإسلام تغير شكلا ولم يتغير مضمونا أن الدليل على ذلك ما أشار إليه بعض مستشرقي العصور الحديثة انظر مثلا إلى اجناس جولد قوله:

"فتبشير النبي العربي، ليس إلا مزيجا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثيرا عميقا ".

ويقول كارل بروكلمان " اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة ".

ويقول توراتدرية "إن أفكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة أشد الاضطراب " من خلال ما عرضناه من أقوال بعض المستشرقين تتضح لنا الصورة الحقيقية لكتاباتهم المشوهة عن الإسلام.

حيث ينكروا على الإسلام ونبيه الكريم مزيج متنافر بين اليهودية والمسيحية والوثنية، وخطؤهم كائن في حقدهم الذي أوصلهم إلى قصر النظر.

فمن الغريب الا نجد شيئا مشتركا بين الديانات السماوية لقد جاء موسى متأخرا عن إبراهيم فأمن به، وجاء عيسى متأخرا عنهما، فآمن بإبراهيم وموسى، وجاء محمد "ص" بعدهم فأمن بإبراهيم وموسى وعيسى عليهم أفضل الصلوات والسلام.

وهكذا فإن فهم هؤلاء المستشرقين للإسلام لا يمكن فصله عن واقعه الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي للمرحلة التي عاشوا فيها، والتي البسوها المنهجية العلمية الحديثة المنظمة[١٦].

المرحلة التاريخية الثالثة:

مع بزوغ فجر الدولة الحديثة في العالم الإسلامي بعد سقوط الدولة العثمانية وتكريس تبعيتها شبه الكاملة للغرب، ضمر الهجوم الأوروبي على الديانة الإسلامية وعلى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه من جانب آخر أخذ ينظر في كيفية إخراج المجتمعات الإسلامية من تراثها الإسلامي إلى حيز تراث ملة الغرب. وتمكن تسمية هذه المرحلة التاريخية

بدائرة " الاستعمار والانطلاق نحو العالمية ". لذلك السبب امتزجت أطروحة المدرسة الاستشراقية التقليدية بأدبيات مدرسة التحديث (Modernization) في الفترة الزمنية الواقعة بين العشرينات والسبعينات تقريبا من القرن العشرين. وإذا كانت المدرسة الأولى (الاستشراقية التقليدية) تنظر بشوفينية (Chauvinism) ودونية – بشكل عام – إلى العرب والمسلمين فإن المدرسة الثانية (التحديثية) حاولت أن تقدم نموذجا للمجتمعات الإسلامية والعربية يحاكي نموذج التجربة الغربية.

وبهذا التصور المهجن بين اللاأخلاقية واللاموضوعية والنظرة الدونية إلى الآخر تتضح معالم صورة العرب والمسلمين التي ترسمها المدرسة الاستشراقية الجديدة، فالعرب والمسلمون غير عقلانيين، والإسلام لا يمكن أن تنمو من خلاله ديمقراطية، وأتباعه غير قادرين على إدارة شؤونهم بأنفسهم، وعلى رأس تلك الصفات كلها يعتبرون خطرا قادما على الحداثة والسلم الدولي، وبناء على ذلك يجب على الغرب أن يعود إلى نظام الإمبريالية أو الانتداب أو تحت أي مسمى آخر بحيث يبقى هذا الخطر في "قمقمة ".

ولو قمنا بتشريح المدرسة الاستشراقية – الجديدة – إن جاز التعبير – لوجدنا أمرين في غاية الأهمية: الأول، أن أكثر المنتمين إليها إما من اليهود الصهاينة وإما من مناصريهم، إذ لا يوجد – حسب اطلاعي – أي مستشرق جديد تابع للمنهجين " الدعائي أو الموروث " لا يؤيد الصهيونية والدولة العبرية. الأمر الثاني أن مفهوم الخطر وموضوعه بالنسبة إلى أتباع المدرسة يتجسد في الخطر من الإسلاميين، وأن هذا الخطر موجه بالدرجة الأولى ضد إسرائيل، وبما أن إسرائيل تعد عاصمة الغرب الأبيض الديمقراطي في الشرق الأوسط الأسود الاستبدادي فإن هذا الخطر موجه ضد الغرب بل ضد العالم بأسره(١٧).

وتتميز هذه المرحلة من الدراسات الاستشراقية بظهور نزعة لدى عدد من المستشرقين تدعوا إلى تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية وانتهاج البحث

العلمي المجرد لكنه لا يخلو من التعصب للسياسة الاستعمارية لذلك تناول بعض المستشرقين المعاصرين في كتاباتهم في الأقسام الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية وقد توفر في هذه المرحلة عشرات الآلاف من المخطوطات وكم كبير من المواد والوثائق الخاصة بالشرق وقد ساهمت الإدارات الحكومية والأجهزة الاستعمارية والمؤسسات الدينية والاقتصادية في كل ذلك وقد اتيحت إمكانيات واسعة لنشاط العمل الاستشراقي من خلال توفير المواد وتنوعها وأعدت دراسات أكاديمية كثيرة عن الاستشراق.

وبدأ عصر الاستشراق في هذه المرحلة يركز على الجانب السياسي عندما تعرض المستشرقون المعاصرون في دراساتهم للمجتمعات العربية وثقافاتها كما ركز الاستشراق على المشاريع الغربية في سياق التوجه الاستعماري نحو المنطقة العربية من خلال دعم اليهود في إقامة دولتهم على أرض فلسطين[١٨] وأصبح الاستشراق يبحث عن دور يمكنه من لعب دورا مهما في المنطقة العربية والإسلام. من خلال عقد المزيد من المؤتمرات الاستشراقية وقد أظهرت حقائق تبين أن الاستشراق قد أسهم في تعزيز المفاهيم والروئ السلبية تجاه العروبة والإسلام.

المبحث الثالث: الاستشراق الإنجليزي

٣-١ الاستشراق الإنجليزي:

كان الاستشراق الإنجليزي بين أول وأوثق وأوسع ما عرفته أوروبا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى اتصالا ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا في: الأندلس، والقدس، والهند، والصين، والعراق، ومصر، وفلسطين. وفي خلال ذلك اتخذ طابعه العلمي الخالص عندما توفرت للمستشرقين أسبابه، وتنوعت أغراضه، وانقطعوا إليه، وأخلصوا فيه.

فقد طلب رواد الانجليز الثقافة العربية عن طريقين:

١- طريق المتضلعين منها أمثال الفيلسوف الأسباني إبراهيم بن عزرا من

مدينة طليطلة الذي وفد على لندن ودرس فيها (١١٥٨- ١١٥٩).

٢- طريق العلماء الذين قصدوا صقلية والأندلس وأخذوا الثقافة العربية على أعلامها في مدارسها، ومنهم: توماس براون الذي كان قاضياً في صقلية، وذكرته الوثائق العربية باسم القاضي براون، وأدلرد أوف باث، وروبرت أوف تشستر، ودانييل أوف مورلي، وميخائيل سكوت، وروجر بيكون الذين تثقفوا بالثقافة العربية وترجموا الكثير عنها وصنفوا النفيس فيها فجاءت تواليفهم ومصنفات زملائهم من علماء أوروبا، وكلها باللاتينية يوم ذاك، تحمل القرون الوسطى دينا مزدوجا للعرب والمستشرقين.

فالعرب نقلوا الكثير من التراث الإنساني وحافظوا عليه وكملوه وأبدعوا منه وصنفوا فيه. والمستشرقون نقلوه وشرحوه فقضوا على جهالة القرون الوسطى وأقاموا النهضة الأوروبية الحديثة على أسس متينة من الرقي والتطور والتكامل بسرعة، وأتاحوا الفرصة لخلفائهم فطلبوا العربية لذاتها – لا سعياً وراء التراث الإنساني الأول الذي صهرت معظمه في بوتقتها- فعنوا بتدريسها وتحقيق مخطوطاتها وترجمتها والتصنيف فيها، وأفادوا من صلتها باللغات السامية لتفسير الكتاب المقدس تفسيرا يتفق مع المذاهب البروتستانتية، مما حمل كبير الأساقفة لود Loud على انشاء كرسي للعربية في جامعة أكسفورد، وتشجيع الجامعات على توفير الدراسات الشرقية وتعميمها. وقد أسفرت تلك الدراسات عن تحديد تاريخ الجنس البشري وتقويم تراثه، وللعربية فيه قسط وافٍ، تجددت بفضله الصلات الاقتصادية والسياسية بين إنجلترا والشرق الأدنى على الرغم من الحرب الأهلية في القرن السابع عشر.

<u>وفي مطلع القرن الثامن عشر</u>، ازدهر الاستشراق متأثراً بعوامل عديدة من أشهرها : انشاء كرسيين جديدين للعربية في جامعتي أكسفورد وكمبريدج، واسترعاء التوسع الأوروبي في الشرق الأقصى، ولا سيما الهند، اهتمام العلماء.وقد عد السير وليم جونز إماماً للدراسات الهندية في أوروبا يوم ذاك، وأقبل الطلاب في إنجلترا وفرنسا والهند على النصوص السنسكريتية ومصادر

ثقافتها إقبالا حتم على مديري الجامعات إنشاء قسم خاص بها في العلوم الشرقية امتد أثره في القرن التاسع عشر إلى ألمانيا ثم إلى غيرها من عواصم العلم حتى يومنا هذا.ثم اختتام القرن الثامن عشر بحملة نابليون على مصر، ومن صحبها من العلماء ومعظمهم مستشرق،فاتصل الشرق الأدنى بأوروبا في الثقافة والسياسة والاقتصاد اتصالا وثيقا لم يعرف من قبل وتبين منه أن العربية أصل كل ثقافة إسلامية في أية لغة من اللغات.

في القرن التاسع عشر، استمر ذلك الازدهار، على تطور كبير في الدراسات العربية، بفضل ما نشره علماء حملة نابليون، وتخريج مدرسة دي ساسي الفرنسية جيلا كاملا من المستشرقين الأوروبيين، وانشاء كرسي للعربية في جامعة لندن، وتأسيس الجمعيات الآسيوية وإصدار مجلاتها، وإتاحة الفرصة لمعظم المستشرقين في زيارة الشرق الأوسط فتوافدوا عليه من مختلف الجامعات الأوروبية، وتبعهم عدد كبير من الرواد والرحالة والعلماء. في حين لم تكن هذه الفرصة ميسرة لغالبية قدمائهم. ولما عاد الانجليز إلى انجلترا تعاونوا على التدريس والترجمة والتحقيق والتصنيف فتوفر لجامعة كمبريدج ثلاثة من مشاهير المستشرقين، وهم: بيفان، ونيكولسن، وبراون. وجل ما صنعه المستشرقون كان من جهد أفراد لم ينالوا عليه أجرا أو شكورا: كهندلي في لندن، ولمسدن في الهند الذي نظم الاستشراق في كلية فورت وليم تنظيما علمياً.

وقد تناولت دراسات المستشرقين موضوعات شتى من اللغات والآداب والعلوم والفنون والعقائد والتاريخ والجغرافيا. هذا خلا الذين نشطوا للتنقيب عن الآثار وحل رموزها ووصف رحلاتهم فجعلوا كثيراً من بلاد العرب وتراثها الحديث للعالم.

وفي عام ١٩٤٥ شكل وزير الدولة للشؤون الخارجية لجنة برئاسة إيرل أوف إسكاربورو لبحث وسائل وبرامج تعليم اللغات والثقافات الشرقية والسلافية بما فيها أوروبا الشرقية، وقد أفادت الدراسات الشرقية من تنفيذ توصيات تقرير تلك اللجنة قوة جديدة بفضل الزيادة الكبيرة التي أدخلتها على هيئات التدريس،

والمنح التي خصتها بالأقسام الشرقية. ثم حجبت المنح الخاصة في عام ١٩٥٢.

وفي عام ١٩٦٠ انبثقت عن لجنة المنح الجامعية لجنة فرعية برئاسة هيتر فاستعرضت نواحي التطور التي طرأت على التدريس الجامعي منذ عام ١٩٤٦ (تقرير لجنة إسكاربورو) وأوصت بتدريس تاريخ وجغرافية واقتصاديات وقوانين دول آسيا وأفريقيا وأوروبا الشرقية تدريسا مستوعبا بدلا من الاقتصاد على تعليم لغاتها، كما اقترحت زيادة دراسات هذه المناطق دراسات خاصة، والعناية بلغاتها الحديثة، وقد اسفر تنفيذ توصيات تقرير هيتر عن نتائج طيبة منها إنشاء مراكز لدراسات المناطق ولا سيما في الجامعات الجديدة.

وهكذا انتهى تطور الاستشراق إلى هذا المذهب العلمي الذي استمر من مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم، وإنما يفهم من المذهب العلمي التخصيص لا التعميم. فما كانت الدراسات الشرقية قط مجرد نوع من أنواع الرياضة لمن يسمح له وقته وثروته بذلك، وما جرت العادة في أوروبا على اصطناع اللغات الشرقية في سبيل الخدمة العامة كالتعليم أو التجارة أو السياسة وإن أفاد بعضهم من بعضها، ومن السياسيين: السير أنطوني إيدن الذي تخرج بالعربية من جامعة أكسفورد. والسير إمري النائب السابق في الهند فقد تعلم الفارسية والتركية، وعني بجمع الرسوم الفارسية الحديثة. إلا أن مثل هؤلاء قليل عددهم.

٣-٢ وسائل الاستشراق الإنجليزي :

عمد المستشرقين الانجليز لدراسة الشرق إلى إتباع وسائل مختلفة ولعل أهمها وأبرزها هي:

١- كراسي اللغات الشرقية:

هناك ٥٦ جامعة أو معهدا يعلم معظم اللغات الشرقية ومن أشهرها:

- **جامعة أكسفورد (١١٦٧). Univ Of Oxford:**

أنشئت على غرار جامعة باريس، وقد خصت العربية والعبرية والكلدانية والسريانية بأول كرسي فيها نزولا على قرار البابا إكليمنض الخامس في مجمع فيينا (١٣١١-١٣١٢) ثم أنشأ كبير الأساقفة لود كرسيا للعربية فيها (١٦٣٦) وسمي إدوارد بوكوك الآب أول أستاذ لها عليه.

وفي مطلع القرن الثامن عشر أضيف إليه كرسي آخر، فوقفا على اللغة العربية، والسنية اللغات السامية، والدراسات الإسلامية، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث، والفلسفة العربية. وفيها اليوم: أستاذ للعربية في كرسي لود، وثلاثة محاضرين (مدرسين) للعربية والدراسات الإسلامية، ومحاضر للآرامية والسريانية وباحث (معيد) للآشورية، وأستاذ وثلاثة محاضرين للصينية، وأستاذ لأديان الشرق وعلم الأخلاق، وأستاذ للآثار المصرية، وأستاذان ومحاضر للعبرية، ومحاضر لتاريخ الشرق الأدنى الحديث، ومحاضر للفارسية، وأستاذ للسنسكريتية، ومحاضرون للغات لوجندا والسواحلية.

- **جامعة كمبريدج (١٢٥٧). Univ Of Cambridge:**

بدأت عام ١٢٠٩ عندما غادر ثلاثمائة طالب أكسفورد إلى كمبريدج، وعلمت اللغات الشرقية. ثم استحدث السير توماس أدامز كرسيا للعربية فيه (١٦٣٣) وعين إبراهيم ويلوك أول أستاذ لها عليه. وفي مطلع القرن الثامن عشر أضيف إليه كرسي آخر فاشتهر فيهما مستشرقون أعلام، وأساتذة من العرب.

ثم أنشئ مركز الدراسات الحديثة للشرق الأوسط، فخصت العربية الحديثة بأحد كراسيه (١٩٦١) وتصدر عن الجامعة: السلسلة الشرقية.

- **جامعة لندن (١٨٢٨). Univ Of London:**

أنشأت للغة العربية كرسيا، ولما نقل إلى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (١٩١٦) استعاضت عنه بوظائف خاصة بالدراسات الشرقية، ثم

أنشأت المدرسة كرسيا جديدا للدراسات الإسلامية أشرف عليه الأستاذ بكنجهام ومازالت تعني بالشرقين الأوسط والأدنى لغات وحضارات. وأنشأت قسم اللغات الصوتية، وقد أشرف عليه فيرث الذي عرف بفضله في تعليم الطلاب التكلم باللغتين الصينية واليابانية.

٢- المكتبات الشرقية:

المكتبات الحكومية:

- **مكتبة المتحف البريطاني – لندن (١٧٥٣) British Museum**

كانت نواتها الأولى كتب ومخطوطات وتحف السير هانز سلون، ثم أخذت تتسع بما أضيف إليها من مكتبات الأفراد، أمثال: إرل أكسفورد، والسير روبرت كورتون،ومارسدين الذي رحل إلى سومطرة واشتهر بكتاباته عن النقود الإسلامية وأهدى إلى المتحف مخطوطات عربية كثيرة. كما أهدى إليه جورج الثاني المكتبة الملكية. وحين كثرت الكتب والمخطوطات الشرقية في المتحف أنشئ لها (١٨٩٢) قسم خاص تمثلت فيه حروف اللغات الشرقية في الكتب المطبوعة من طنجة إلى طوكيو، والمخطوطات الشرقية بسبعين لغة بينها: المصاحف والمعاجم والتواريخ وأوراق البردي وأقدم مخطوطين في الطب كالغاذي والمغتذي لابن أبي أشعث (٣٤٨هـ) والمقصور والممدود لابن ولاد (٣٦٥ هـ) هذا خلا خمسة وسبعين ألف وثيقة بين سجل وبراءة حكومية. ثم اقتنت المكتبة مخطوطات شرقية من مكتبات: السير مرى قنصل بريطانيا في القاهرة، والسير هنري راولنسون قنصل بريطانيا في بغداد، وفون كريمير الذي جمع أكثرها من دمشق وأقلها من القاهرة، وإدوارد جلازر في رحلته الثالثة إلى اليمن، وإدوارد لين مما اعتمد عليه في تأليف كتابيه: مد القاموس، واخلاق وعادات المصريين المعاصرين، والمقدم ملز الوكيل السياسي في مسقط. ثم ما جمعه بدج ووكر، وغوردون باشا، وتشرشل، من الموصل وزنجبار والسودان. حتى بلغ عدد الكتب فيها خمسة ملايين، والمخطوطات ستة وخمسين ألفا

بمختلف اللغات. لعل آخرها المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد الشهير بالصاحب.

مكتبة الجامعات :

- **المكتبة البودلية (١٦٠٢) Bodleian Library**

التابعة لجامعة أكسفورد، أسسها العالم السياسي السير توماس بودلي بعد استقالته من الحكومة. ولم يقتصر على ثروته في تأسيسها بل أغرى كثيرين من أصدقائه بإهدائها فرائد المخطوطات ونفائس الكتب وحمل الحكومة على تقديم نسخة لها من كل كتاب يطبع في البلاد.

وفي أكسفورد مكتبة المعهد الهندي للدراسات الهندية.

مكتبة جامعة كمبريدج :

- **مكتبات الجمعيات:**
- مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية (١٨٣٠) Royal Asiatic Society

وضع مولي فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والهندوستانية في مكتبتي الجمعية الملكية الآسيوية، وجمعية الترجمة (لندن ١٨٣٨) ثم خص المخطوطات العربية والفارسية في مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية بفهرس.

- **المكتبات الخاصة :**

منها مكتبة جون ريلاندز في مانشستر – John Rylands Library تحتوي على ثلاثة أقسام من القرآن ذات حروف ذهبية فاخرة، إحداها مغربية (٤٠٠ هـ) ومصحف عليه خاتم قانصوه الغورى، وأوراق البردى.

٣- المتاحف الشرقية :

المتحف البريطاني.

متحف فيكتوريا ألبرت.

متحف أشمولين، في أكسفورد – Ashmolean Mus.

يشتمل على مجموعات آثار الشرق الأدنى، وتضم مكتبته سلسلة دراسات عنه.

متحف الفن الشرقي – Mus. of Eastern Art

يضم المجموعات المشتركة بين الشرق الأقصى في متحف أشمولين وبين مجموعات المعهد الهندي.

متحف فيتز وليم – Fitz William Mus

يضم مجموعات النحت المصري (مجموعات جياراندرسون) الفن الفارسي والهندي والخزف التركي والسجاد الشرقي إلخ.

٤- الجمعيات الآسيوية والمجلات الشرقية:

الجمعية الآسيوية في باتافيا (١٧٨١) أنشأها المستشرقون الإنجليز في باتافيا عاصمة جاوة. الجمعية الآسيوية للبنغال في كلكتا (١٧٨٤) أنشأها السيروليم جونز، واقتصرت عضويتها في أول الأمر على الانجليز ثم انضم إليها الوطنيون. وقد نشرت بحوثها في عشرين مجلدا (١٧٨٨-١٨٣٦). وأصدرت مجلة باسمها (١٨٣٢).

الجمعية الآسيوية الأدبية في بمباي (١٨٠٤) برئاسة ماكنتوش، وقد أصدرت مجلة باسمها (١٨٣٤) وهي تصدر مرة في كل ثلاثة أشهر.

الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا، في لندن (١٨٢٣).

Royal Asiatic of Great Britain and Ireland Society, London.

أنشأها المستشرقون الإنجليز تحت رعاية ملك بريطانيا. وقد جمعت بين أعضائها أعلام المستشرقين في العالم، وكونت منهم قسما خاصا بالعربية.

٥-المجموعات العربية:

ومن أشهرها لجنة جيب التذكارية Gibb Memorial Committee ذلك أنه لما توفى المستشرق إلياس جون جيب أرادت والدته تخليد ذكراه بمبرة دائمة الريع، فاقترح عليها المستشرق إدوارد جرانفيل براون وقف مبلغ من المال ينفق

ريعه على نشر البحوث العلمية في تاريخ الترك والفرس والعرب وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم، وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصص فيها، ويتعذر على طلاب الاستشراق إيجاد ناشر يتكلف طبع مصنفاتهم فيها لكساد سوقها. فأوقفت مبلغا من المال وتألفت لجنة من أعلام المستشرقين لإنفاق ريعه على المؤلفات التي تختارها للتحقيق والنشر من اللغات الشرقية، وحكمها في غاية الدقة والأمانة.

٣-٣ أبرز المستشرقين الانجليز :

1- يدويل، وليم (١٥٦١-١٦٣٢) Bedwell,W.

تخرج من كمبريدج، وعين مديرا لسانت أثلبرج في شارع بيشوبجيت (١٦٠١) وأستاذ العربية في أكسفورد، وعاون على ترجمة التوراة (١٦٠٤). وقد اشتهر بأنه رائد الدراسات الشرقية ولا سيما العربية في بريطانيا، وواضع أسس تدريسها، لأنها على حد قوله، لغة الدين والسياسة والمعاملة من الجزائر إلى الصين. ولكنه أساء فهم الإسلام وإليه بتعصبه عليه تعصبا ذميما. ثم انصرف عنه إلى الرياضيات وله فيها بضعة مؤلفات.

آثاره : المعجم العربي، في سبعة أجزاء (بدأ تصنيفه قبل عام ١٦١٠، ولم ينشره، إلا أن كاستل أفاد منه في قاموسه: (مجمل معجم اللغات السامية) وترجمة رسائل القديس يوحنا من العربية إلى اللاتينية – فهرس الكتب العربية، ج ١، ص ٣٩٣ (لندن ١٦١٢) والعهد الجديد – الكتاب المقدس (أكد في مقدمته أهمية اللغة العربية) ومحمد، أو مصاحبة روحانية بين الشيخ سنان والعالم أحمد، وهو افتراء سخيف على النبي الكريم.

2- والتون، الأسقف (١٦٠٠-١٦٦١) Walton, B.

تخرج من كمبريدج، وعين راعيا لكنيسة الملك، وطرد منها بسبب المذهب الذي كان يتبعه (١٦٤١) وسجن (١٦٤٢) ثم التحق بجامعة أكسفورد لدراسة اللغات الشرقية. وعاد إلى لندن (١٦٤٧) وجمع التبرعات لنشر التوراة بعدة لغات (١٦٥٢) وقد استعان فيها بعدد كبير من العلماء فصدرت عن لندن

(١٦٥٥– ٥٧) واستعاد منصبه (١٦٦٠) وسيم أسقفا على تشستر (١٦٦٠).

آثاره: نشر التوراة بعدة لغات، معتمدا على تحقيقات : بانينيوس، ومونتانوس، وجبرائيل الصهيوني، ونوبيلي، وهايد، وكاستل، وكلارك، ولوفتوس، في النصوص العبرية والسامرية، والكلدانية، والونانية، والسريانية، والعربية، والحبشية، واللاتينية إلخ. وقد نشرت باسمه وأسماء معاونيه : كاستل، وهويش، وكلارك، وهايد، وتوموديك، وهاموند، وبوكوك، وبيرس (لندن ١٦٥٥– ٥٧) وكتب مقدمة للغات الشرقية (لندن ١٦٥٥).

٣- ريفلين، هيلين آن– Rivlin , Helen Anne,B.

حصلت على الليسانس مع درجة الشرف، من جامعة روشتسنر (١٩٤٩) وعلى الماجستير من معهد رادكليف (١٩٥٠) والدكتوراة من جامعة أكسفورد – المدرسة البريطانية للدراسات الشرقية والأفريقية (١٩٥٤) ومن ألقاب الشرف والمكافآت التي فازت بها: بيتيا كابا، وزمالة المجلس الأمريكي للجمعيات التعليمية (١٩٥٠).

ومن الوظائف التي شغلتها : باحثة في مركز الشرق الأوسط بجامعة هارفارد (١٩٥٤–١٩٥٧).

من آثارها : السياسة الزراعية على عهد محمد علي في مصر (دار نشر كمبريدج ١٩٦٩) والاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر (ترجمة الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى، ومصطفى الحسيني – القاهرة ١٩٦٧) ودار الوثائق في قصر عابدين في القاهرة كمصدر دراسة لمصر الحديثة في القرن التاسع عشر (ليدن ١٩٧٠).

المناهج التي قامت بتدريسها :

نذكر منها التاريخ الإسلامي والحضارة (حتى ١٤٥٣) والتاريخ الإسلامي والحضارة من ١٥٠٠ حتى اليوم، تاريخ العرب، وتاريخ الفرس، وتاريخ الأتراك، وتاريخ اليهود[١٩].

الخاتمة:

بعدما تناولنا بالمعرفة والفهم الاستشراق والمستشرقون والاستشراق الإنجليزي كمثال، توصلنا إلى أن الاستشراق:

1. موضوع ليس بالسهولة ويحتاج إلى تعمق ودراسة شاملة من جميع النواحي
2. الاستشراق لا نستطيع أن نحمله أخطاء الشرق كاملة وأنه إحدى مسببات عدم النهضة من جديد في الشرق
3. الاستشراق مر بثلاث مراحل تاريخية وكل مرحلة لها إيجابياتها وسلبياتها
4. الاستشراق أمد العالم بعلوم العرب والمسلمين وحضاراتهم نصنفها إلى:

- علوم مدفوعة بحقد وكراهية للمسلمين ومتأثرة بروح العداء التي زرعتها الكنيسة مبتعدة عن الموضوعية والإنصاف والنهج العلمي
- علوم كتبت بعدالة في حكمها على العرب والمسلمين وحضارتهم لأنها كتبت بمنهج علمي وقدمت للعالم أبحاثا عميقة فأشادت بالإسلام والرسول وبحضارة العرب والمسلمين
- علوم لم تنصف العرب والإسلام ولا التاريخ ولا الحضارة وذلك لجهلها بالعقيدة وعدم اتقان اللغة العربية وفهمها

لذا نوصي بالتالي:

1. على الإنسان الشرقي أيا كان موقعه، وخصوصا في الوقت الحالي أن ينتبه إلى الصراع الحضاري، وأن لا يعمق ما يسعى إليه الغرب في إيجاد أزمة حضارية، وأن يعمل على منظومة شاملة يفيق منها من الحلم إلى تحقيق الرؤى والسعي إلى بناء حضارة وأن لا يحمل أخطاؤه للغير والعمل على نشر الثقافة والقيم التي تعزز لدى الفرد روح القوة وصلابة الإرادة والعزيمة والرغبة في انتزاع الفرص الكبيرة لكي لا يعيش على فتات غيره

2. على دول الشرق بناء تنمية متميزة قائمة على أكتاف شعوبهم وأن تكون رؤاهم واضحة.
3. العمل على موسوعات علمية تترجم ما توصل إليه الغرب من علوم وتقنيات وتدرس تاريخها من منطلق رواية ورؤية
4. الاهتمام بالإعلام والمعلومات، فبناء قاعدة إعلامية بكل لغات العالم توصل إلى العالم رسالة الإسلام والعرب بكل شفافية ومصداقية، مع بناء قاعدة من المعلومات والبيانات التي تهم متخذي القرار والباحثين والدارسين وذلك لإيجاد نهضة علمية وحضارية من جديد.
5. إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي بصورة جديدة مربوط بالعالم ككل واستخراج السنن والنظريات العلمية منه لكي تكون رؤى للحكومات والأفراد من أجل البقاء والتفرد والتميز في عالم لا يقبل إلا ببقاء الأقوياء.

وعليه نقترح على الباحث والدارس القيام بالدراسات التالية:

1. كيف لنا أن نوجه مؤسسات الاستشراق لخدمة الحضارة الإسلامية وبيان قوتها
2. العمل على منظومة من القيم والثقافة التي تعزز الاهتمام ببناء العقل العربي

والسؤال الذي نطرحه في نهاية هذا البحث:

كيف لنا أن نكون نحن العرب والمسلمين أقوياء في زمن ليس فيه مكان إلا للأقوياء؟ ولا أقصد القوة العسكرية بذاتها.

الهوامش:

(١) عبد الحليم ريوقي. ماهية الاستشراق. مجلة الإنسان والمجتمع.تلمسان – الجزائر. العدد ٠٢ / ديسمبر ٢٠١١. ص: ٧٨.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. ط١. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ص: ٤٨٢.

(٣) عبد الحليم ريوقي. ماهية المستشرق. مرجع سابق، العدد ٠٢/ ص: ٨٠.

(٤) خضر شلبي. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر. الجزائر، سنة ٢٠٠١/ ص: ٢٦.

(٥) أحمد سما يلوفتتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي. القاهرة: دار الفكر العربي، سنة ١٩٩٨/ ص :٣٧.

(٦) عبد الحليم ريوقي. ماهية المستشرق. مرجع سابق، العدد ٠٢/ ص: ٨٤-٨٦.

(٧) محمود ماضي. الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي ونقده. ط١. الإسكندرية – مصر: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٦م / ص: ١٩.

(٨) عبد الحليم ريوقي. ماهية المستشرق. مرجع سابق، العدد ٠٢/ ص: ٨٤.

(٩) ابن خلدون. المقدمة. الفصل الثالث والعشرون. ص : ٦٣.

(١٠) عبد الحليم ريوقي. ماهية المستشرق. مرجع سابق، العدد ٠٢/ ص: ٨١ .

(١١) إدوارد سعيد. الاستشراق (المعرفة، السلطة، الانشاء). ترجمة كمال أبو ديب.ط٢.بيروت – لبنان : مؤسسة الأبحاث العربية، سنة ١٩٨٤، ص : ٨٠.

(١٢) محمد فتحي عثمان. المدخل إلى التاريخ الإسلامي.بيروت – لبنان : دار النفائس، سنة ١٩٩٢، ص: ٢٨٦-٢٩٠.

(١٣) عبدالله يوسف سهر محمد. مؤسسات الاستشراق الغربية تجاه العرب والمسلمين. دراسات استراتيجية. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – أبوظبي. العدد ٥٧/ سنة ٢٠٠١.ص: ٨-١٣ .

(١٤) قصي كامل صالح الشبيب. الاستشراق مفهومه- نشأته- تطوره – دوافعه – أهدافه مع تحليل ونقد آراء المستشرقين.مجلة كلية التربية الأساسية- الجامعة المستنصرية- العراق.ع ٥٠ /سنة ٢٠٠٧.ص: ١٩١ .

(١٥) فواز جرجس. الأمريكيون والإسلام السياسي: تأثير العوامل الداخلية في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية. المستقبل العربي- بيروت. العدد٢٠٧/سنة١٩٩٧.ص:٢٨.

(١٦) قصي كامل الشبيب. الاستشراق مفهومه- نشأته _ تطوره. مرجع سابق، العدد (٥٠) / ص: ١٩٢-١٩٣.

(١٧) عبدالله يوسف سهر محمد. مؤسسات الاستشراق الغربية تجاه العرب والمسلمين. مرجع سابق، العدد ٥٧/ ص: ٢١-٢٣.

(١٨) إبراهيم عبدالكريم. الاستشراق وأبعاد الصراع لدى إسرائيل. عمان : دار الجليل، سنة ١٩٩٢، ص:٣١.

(١٩) نجيب العقيقي. المستشرقون. ط ٥. القاهرة : دار المعارف، سنة ٢٠٠٦، ج ٢ / ص : ٩- ٣٩.

المراجع والمصادر:

1. إبراهيم عبدالكريم. الإستشراق وأبعاد الصراع لدى إسرائيل. عمان:دار الجليل، سنة ١٩٩٢.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. ط١. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
3. ابن خلدون. المقدمة. الفصل الثالث والعشرون.
4. أحمد سمايلوفتش. فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي. القاهرة: دار الفكر العربي، سنة ١٩٩٨.
5. إدوارد سعيد. الإستشراق (المعرفة،السلطة،الإنشاء). ترجمة كمال أبوديب. ط٢. بيروت–لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، سنة ١٩٨٤
6. خضر شلبي. نبوة محمد في الفكر الإستشراقي المعاصر. الجزائر، سنة ٢٠٠١.
7. عبدالله يوسف سهر محمد، مؤسسات الإستشراق الغربية تجاه العرب والمسلمين. دراسات استراتيجية. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.أبوظبي. العدد ٥٧/ سنة ٢٠٠١.
8. عبدالحليم ريوقي. ماهية الإستشراق. مجلة الإنسان والمجتمع. بلمسان– الجزائر. العدد ٠٢/ديسمبر ٢٠١١
9. فواز جرجس. الأمريكيون والإسلام السياسي :تأثير العوامل الداخلية في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية. المستقبل العربي. بيروت. العدد ٢٠٧/ سمة ١٩٩٧.
10. قصي كامل صالح الشبيب. لاإستشراق مفهومه – نشأته – تطوره – دوافعه – أهدافه مع تحليل ونقد آراء المستشرقين. مجلة كلية التربية الأساسية. الجامعة المستسفرية. العراق. ع٥٠/ سنة ٢٠٠٧.

11. محمد فتحي عثمان.الدخل إلى التاريخ الإسلامي. بيروت – لبنان: دار النفائس، سنة ١٩٩٢.
12. محمود ماضي. الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي ونقده.ط١. الاسكندرية – مصر: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، سنة١٩٩٦.
13. نجيب العقيقي. المستشرقون. ط٥. القاهرة: دار المعارف، سنة ٢٠٠٦.